الفصل الثاني

عطاء الإسلام في بناء الحضارة وإرساء قيمها

- مقدمة.
- أهم الخصائص الحضارية التي أرساها الإسلام.
- خاتمة الفصل.

الإسلام وإرساء قيم الحضارة[٢٥]

١- مقدمة

أرسى الإسلام حضارة عقيدة تقوم علي التوحيد الخالص لله، وحضارة قيم عليا أكد عليها الوحي الإلهي. حضارة تجعل إعمال العقل فريضة دينية، وتجعل إطلاق العقل والحس لبحث ما يحكم الكون (الطبيعة التي خلقها الله) من سنن (قوانين)، إطلاق العقل والحس لدراسة المجتمعات والتاريخ والإنسان، للوصول إلى سنن الله التي تحكم الكون والإنسان والمجتمعات والتاريخ، حضارة تتفق مع الفطره السليمة للإنسان(كل مولود يولد علي الفطرة).

وقد تعددت معاني الحضارة، فهناك المعني اللغوي ويعني الإقامة في الحضر، وهناك تعريف المعجم الوسيط، [٢٦] الذي يعرف الحضارة بأنها مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني. والحضارة هي محصلة التفاعل بين الإنسان بعقله وقلبه وحسه وفطرته، مع الكون والحياة، ومع ما يواجهه الإنسان من تحديات عقلية وبيئية، واقتصادية وصناعية وأمنية...، ما ينجم عن هذه التفاعلات من علوم وفلسفات وفنون وآداب وأفكار ونظم وتنظيمات ومؤسسات... الخ. ما ينجم عن هذا التفاعل من منتجات مادية ومعنوية، والحضارة عند ابن خلدون هي غاية العمران [٢٧]. صحيح أنه ركز علي الجانب السلبي من الحضارة وهو الوقوع في الترف، وأن الترف مؤذن بفساد العمران، وبهذا يكون قد خلط بين جوهر الحضارة الذي أدركه ابن خلدون نفسه في بعض صفحات

---

(٢٥) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية . سلسلة اقرأ ١٩٦٥

(٢٦) راجع المعجم الوسيط

(٢٧) راجع مقدمة ابن خلدون،، وراجع نبيل السمالوطي. الدين والبناء الاجتماعي دار الشروق جده سنة ١٩٨٤ الفصل الثاني.

مقدمته، وهو الرقي العقدي والقيمي والعلمي والفني والأدبي، الرقي المادي والأخلاقي...، وبين عرضاً من أعرضها وهو الترف، والناقدون لابن خلدون يؤكدون أنه حتى بالنسبة للترف والرفاهية، فإنه لا توجد علاقة حتمية بينهما وبين زوال الحضارة ونهاية العمران. ولعل ابن خلدون قصد نوعا محددا من الترف والرفاهية، وهو الترف المفضي إلى إهدار الإيمان وإهدار القيم والأخلاق، والترف المفضي إلى البطالة والترهل والفسق والفجور. ولعله قد دار بخلده قوله تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (الإسراء ١٦)، وقوله تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) (القصص٥٨). هذا التصور القرآني هو سنة تاريخية واجتماعية. لكن الرفاهية ونعم الله علي عباده عندما تقترن بعقيدة صحيحة، وعندما يقترن يقين أن الله هو المنعم وهو المعطي، وهو المتفضل، عندما تقترن بمنظومة القيم والأخلاقيات الإسلامية، وبتفاعلية البشرية، فإن هذه الرفاهية يمكن أن تؤدي إلى المزيد من التقدم والنهضة العلمية، أو البحث وبناء القوة المادية والمعنوية التي أمرنا بها الخالق.

وقد كان ابن خلدون علي علم بالجوانب الإيجابية للحضارة، فهي غاية العمران ويرتبط العمران بفكرة (الكلف بالصنائع). وهذا يعني قيام الحضارة في المدينة (سكني المدن) [٢٨]

أبرز الخصائص الحضارية التي أرساها الإسلام

وإذا حاولنا أن نوجز أهم الخصائص التي تميزت بها الحضارة التي أرساها الإسلام وأهداها الإنسانية، نجد أنها تتمثل فيما يلي:

أولاً: أنها أول حضارة في التاريخ الإنساني ترتبط وتنطلق من وحي السماء متمثلا في الكتاب والسنة، فهي حضارة لا تعتمد علي العقل وحده، فهو عرضة للضلال والانحراف ولم تعتمد علي الحس وحده، أو حتي علي القلب وحده، ولا عليهم جميعاً مجتمعين، حضارة لا تعتمد علي التفاعل التلقائي غير المنضبط بين الإنسان والبيئة، ولكنها حضارة منضبطة بقيم السماء وأحكام القرآن والسنة، والتوجيهات الربانية.فهناك ثوابت تحكم حركة الإنسان وفكره ونشاطه. لكن هذه الثوابت لا تمنع الاجتهاد فيما لا يوجد فيه نص، أو في مجال المصالح المرسلة بثلاثة شروط وهي: أن تكون

(٢٨) راجع مقدمة ابن خلدون،،، وراجع دراسات كل من علي عبد الواحد وافي،،، وحسن الساعاتي عن ابن خلدون . وراجع نبيل السمالوطي: البناء النظري لعلم الاجتماع: الطبعة الخامسة ٢٠٠٧ الفصل الرابع

المصالح عامة وليست خاصة، وأن تكون مصالح حقيقية وليست وهمية، وألا تتصادم مـع مبـدأ أو معيار ثبت بالكتاب والسنة. فالقرآن والسنة يهديان للتي هي أقوم في جميع جوانب الحياة الإنسانية. قال تعالي(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (الإسراء٩)

ويقول تعالي (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (الإسراء٨٢)

ويقول تعالي (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) (الأنفال٦٠)

فالتمسك بضوابط الوحي في مجال العقيدة والعبادات والأسرة والاقـتصاد والـسياسة وكـل جوانب التشريع، يجنب الإنسان والمجتمعات التردي في مهالك الاعتماد علي العقل وحده، أو علـي الخبرات الإنسانية وحدها. فقد أهلكت الناس والمجتمعات في أزمـات الربـا، والجنـسية المثليـة، والتفكك الأسري، بل والعزوف عن الزواج، والانهيارات المالية والصراعات الاقتصادية والسياسية، وسيادة العنصرية والعصبيات وسيطرة الشهوات والنزوات وسيطرة الشيطان والانهيارات الأخلاقية الكبرى ، فلا حضارة بدون هدي من السماء، ولا تقدم بدون التزام بضوابط الوحي. وهـذا مـا أكدته وطبقته حضارة الإسلام كما سنري بالدليل في الفصول القادمة.

<u>ثانيا:</u> أنها أول حضارة إنسانية ركزت علي عمارة النفس بالإيمان والتقوي، وعمـارة الكـون باكتشاف السنن الإلهية التي تحكمه، وتوظيفها في كل مجالات التنمية الزراعية والصناعية والعلميـة والتكنولوجية وعمارة المجتمعات بتطبيق أحكام الله وهديه. فالحضارة تعتمد في الفكر الإنساني علـي مجموعة ركائز، الأول: هو هدي السماء، والثاني: العمارة في كل ميادين الحياة، مادية ومعنوية. إذن هي حضارة عمارة للروح والقلب والنفس والعقل والكون والمجتمع والإنسانية كلها.

<u>ثالثا:</u> الحضارة الإسلامية أسست المجتمع علي التعددية – تعدد الألوان والألـسنة والأعـراق والديانات... هذه التعددية هي سنة من سنن الله في الكون (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)(هـود١١٨-١١٩) وبعـض المفـسرين يقولون: إن الله خلق الناس للاختلاف، والبعض يقولون للرحمة [٢٩]. فلم يؤسس الإسلام المجتمـع

(٢٩) سيد قطب (الظلال) دار الشروق ١٩٩٢ – المجلد الرابع ص ص ١٩٢٦ وما بعدها وراجـع تفـسير الطبري

علي أساس عرقي أو (إثني) وإنما علي دعائم إيجابية إنسانية، يؤمن بحق الناس في الاختلاف، وفي حرية اختيار العقيدة والعبادة وأساليب الحياة. وقد تجلي هذا بشكل واضح في أن أول دولة أسسها الإسلام في المدينة المنورة، أسسها الرسول عليه الصلاة والسلام علي التعددية (مسلمين ويهود وآخرين)، المنضبطة بوثيقة دستورية هي أول دستور في التاريخ الإنساني، وهي تنقسم إلى ثلاثة وثائق: الأولي: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والثانية: ميثاق التحالف الإسلامي بين المهاجرين والأنصار ومن يلحق بهم من يهود وغير مسلمين، والثالثة، اتفاقية الرسول مع اليهود[٣٠] فالحضارة الإسلامية تعادي كل أشكال العصبية والعنصرية والفئوية والطبقية، والمجتمع المسلم يتسع ويرحب بكل الناس والجماعات علي اختلاف ألوانهم وأطيافهم، بشرط الالتزام بالأسس التعاقدية والدستورية للمجتمع المسلم أو للأمة الإسلامية والمبدأ الأساس في حقوق غير المسلمين وحرياتهم (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)وهذا ما سنوضحه تفصيلا في فصل قادم.

رابعاً: تنطلق حضارة الإسلام من قوله تعالي (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ) آل عمران(١٩) فهي حضارة إيمانية تؤمن بكل أنبياء الله ورسله وكتبه من آدم عليه السلام وحتي محمد عليهم جميعا وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام. هذا الإيمان شرط أساس لإيمان المسلم، يقول تعالي: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة٢٨٥)

خامساً: الحضارة الإسلامية حضارة أخلاقية. فالعديد من الحضارات السابقة علي الرسول واللاحقة عليه والمعاصرة، تفصل بين التقدم وبين الأخلاق، فالحضارة الرومانية كانت قائمة علي القوة، والحضارة الإغريقية كانت قائمة علي السادة والعبيد، والحضارة المصرية القديمة كانت قائمة علي تأليه الحاكم، والحضارة الغربية المعاصرة تقوم علي سلطة رأس المال والرأسماليين وعلي تسلط الغرب علي شعوب العالم، وعلي حرية وكرامة الإنسان الغربي فقط. أما إنسان العالم الثالث فلا يستطيع أن يعيش وليس له أية حقوق، وما نراه في العراق وأفغانستان وغزة، وما رأيناه في البوسنة والهرسك وكوسوفوا، يبرز أن التفرقة والتمييز بين الناس إنما يتم علي أسس دينية وعرقية وطبقية، فلا مساواة بين كل البشر. أما الحضارة الإسلامية فإنها تساوي بين كل البشر، وترفض كل أشكال

(٣٠) صفي الدين المباركفوري: الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية: دار الندمرية – السعودية ٢٠٠٠ ص ص١٨٤ – ١٩٣

التميز الإيجابية والسلبية بين الناس علي أساس الدين أو اللون أو العرق أو الذكورة والأنوثة.. وهذا ما سوف نوضحه تفصيلاً في الفصول القادمة.

يكفي هنا الإشارة إلى أن القرآن الكريم لخص رسالة الإسلام ومهمة محمد عليه الصلاة والسلام في قوله تعالي (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء(١٠٧) وسوف نوضح فيما يلي أخلاقيـات ورحمة الإسلام لكل الناس في السلم وحتي في الحرب.

سادساً: حضارة الإسلام تقوم علي الوسطية والاعتدال في كل شيء في العبادات والمعـاملات والسلوكيات والتفاعلات والعلاقات اليومية، والإسلام يرفض كل أشكال التطرف والمغالاة حتي في الدين والعبادة.

قال تعالي (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُـولُ عَلَـيْكُمْ شَهِيدًا)(البقرة ١٤٣) وقال تعالي (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُـواْ عَلَـى اللّـهِ إِلاَّ الْحَقَّ)(النساء١٧١). وتظهر الوسطية في رد الرسول علي الثلاثة رهط الذين تساءلوا عـن كيفيـة عبادته عليه الصلاة والسلام، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها. فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليـل ولا أنام، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا لا أتزوج النـساء، فقـال لهـم الرسول، أنه عليه الصلاة والسلام يقوم ويرقد، ويصوم ويفطر، ويتزوج النساء، ثم وضـع قاعـدة الوسطية (فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٣١) . والوسطية تنطبق في الإسـلام في العبـادات – الصلاة والصيام والزكاة والحج، وتنطبق في مجال الاستمتاع بالطيبات، وفي مجال الأكل والـشرب، وفي مجالات العلاقات مع الناس، وفي مجال أداء المهام والواجبات والأعمال... والآيـات القرآنيـة والأحاديث كثيرة في هذا. فحضارة الإسلام تؤكد علي الوسطية بين الغلو في المادية (اليهود) والغلو في الروحانية (النصاري)، وبين كل أشكال الإفراط والتفريط فالإسلام يؤمن بالوسط العادل [٣٢]

سابعاً: الحضارة الإسلامية تعلي من قيمة العقل فالتفكير في الإسلام فريضة إسلامية، وطلـب العلم في الإسلام فريضة، فطلب العلم بنص حديث رسول الله فريضة علي كل مـسلم ومـسلمة، وآيات القرآن تحث وتدفع المؤمنين دفعا إلى إعمال عقولهم في الكون، وفي الإنسان، وفي البيئة، وفي المجتمعات وفي التاريخ، لأنها كلها خلق الله، وكلها خاضعة لسنن الله ولا توجد فيها عبثية، وأنه يجب

---

(٣١) راجع في هذا دراسة علوي عبد الله طاهر،،، بعنوان وسطية الإسلام: الهيئة العامـة للكتـاب – اليمن ٢٠٠٨ ص ص ٨٥ –٨٨

(٣٢) المصدر السابق

علي الإنسان البحث العلمي للوصول إلى هذه السنن، وهذه السنن يمكن الانتفاع بها في التنمية وعمارة الأرض، واستخراج كنوزها وفي مجالات الصناعة والزراعة، وتوظيف هذه السنن في الانتفاع بالمسخرات الكونية هذا إلى جانب أن الوصول إلى هذه السنن يزيد من الطاقة الإيمانية عند الناس: والإسلام دعا أيضا إلى استخدام الحواس والتجربة كمصدر للمعرفة [٣٣] يقول تعالي (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل٧٨). لكن الإسلام ضبط هذين المصدرين للمعرفة بضابط الوحي حتي يستخدما فيما يصلح للإنسان، وما يعود عليه بالنفع، ويجب تجنب الخوض في الغيبيات التي تكفل الشرع ببيانها. وسوف نعالج نظرية المعرفة في الإسلام بشئ من التفصل في الفصول القادمة.

ثامنا: حضارة الإسلام تقوم علي إطلاق الإبداع العلمي في فهم الكون والإنسان والبيئة والمجتمع والتاريخ، وتعد البحث العلمي انطلاقا من توجيهات القرآن والسنة، واستهدافا لنفع الناس والبشرية عبادة لله. وهذا ما سوف نعالجه بمزيد من التفصل في فصول قادمة.

تاسعا: حضارة الإسلام تحض الإنسان والجماعة المسلمة على بناء أقصي قدر ممكن من القوة في كل مجالات الحياة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية والعسكرية. وهذا ما يفهم من قوله تعالي(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) (الأنفال ٦٠) وهذا التجهيل للقوة يعني التعميم. والقوة المقصودة في الإسلام تقع في ثلاثة مجالات: الأول: القوة الإيمانية والقيمية والأخلاقية، والثاني: القوة الاجتماعية والسياسية من خلال الاهتمام بمؤسسة الأسرة والمسجد، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية، ومؤسسة الشوري، وسيادة الحريات وحقوق الإنسان [٣٤]، والثالث: القوة المادية والعلمية والاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية، لعمارة الكون وردع الأعداء، وتحقيق أقصي قدر ممكن من الاستمتاع المشروع بطيبات الله التي سخرها لعباده.

---

(٣٣) راجع الكردي: نظرية الإسلام بين القرآن والفلسفة: مكتبة المؤيد السعودية ١٩٩٢ الباب الثاني

(٣٤)راجع جعفر عبد السلام: الإسلام وحقوق الإنسان: مكتبة الأديب كامل الكيلاني ٢٠٠٨: القسم الأول ص ص ٧ –١٩

عاشراً: حضارة الإسلام ترتكز علي العدل المطلق دون تميز. فالمسلم مطالب بالعدل مع أقاربه ومع الأغراب، مع من يحب ويكره، مع المسلم وغير المسلم، مـع الأغنيـاء وأصـحاب الـسلطة والمناصب، ومع عامة الناس، والأوامر القرآنية كثيرة جدا في هذا الشأن بالذات. ومن هذه الآيـات قوله تعالي (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل ٩٠) ويقول تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّـهِ شُـهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَـبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة٨). وقال تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَـى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)(النساء١٣٥). فالإسلام يحارب معاملة الناس علي أساس الهوي أو العنصرية أو العواطف أو القرابة أو أي معيار آخر غير المعيار الأساس الذي وضـعه وأقره وأمر به الإسلام وهو العدل.

حادي عشر: من أسس الحضارة الإسلامية إطلاق الحريات لكل الناس وفي كل الميادين بشرط البعد عن التطرف والغلو أو الإفساد والفساد، والانحراف أو إيذاء الغير، أو الاعتداء علـي معيـار إسلامي [٣٥]

وفي مقدمة الحريات حرية العقيدة والتدين (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَـيِّ فَمَـنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة ٢٥٦) [٣٦] وحرية القول وحرية التنقل، وحرية الرأي والعمل، وحرية الاخـتلاف مـع الالتـزام بآدابه. ويلاحظ أن آية (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) جاءت مباشرة بعد آية الكرسي التي تثبت لله أكثر من خمسة عشر صفة، وكان المنطق في عرف البشر أن يأتي بعدها أمر بعبادة الله، لكن المنطـق الإلهـي الأعلى والأعلم اقتضي أن يأتي بعدها مبدأ عدم الإكراه في الدين، والسبب في هذا أنه قد تبين مـع

---

(٣٥) راجع عبد الحميد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم: المعهد العالمي للفكر الإسلامي الدار العالمية للكتـاب الإسلامي – السعودية ١٩٩٢ ص ص ١٤٠ – ١٤٨

(٣٦) تقول زجريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع علي الغرب) إن شعار العرب الـذي رفعـوه بعـد انتصاراتهم كلها هو (لا إكراه في الدين) فلم يجول في خاطر العرب إطلاقا أن يكرهوا أهل البلاد المفتوحة أو المحررة علي الدخول في الإسلام،،، بل حفظوا لهم دور عبادتهم وأديرتهم وأساقفتهم وجميع حقوقهم . راجع مقتطفات من كتاب هونكه منشور في العدد ١٦٧ من قضايا إسلامية الصادر عن المجلس الأعلى للـشئون الإسلامية ٢٠٠٩ ص ص ٢٧ وما بعدها

نزول الشريعة الخاتمة الرشد من الغي بنص الآية. وامتناع الإكراه في الدين[٣٧] يعني امتناع الإكراه في كل أو آخر كالزواج أو العمل أو الرأي أو التنقل. بالشروط التي ذكرناها

ثاني عشر: تؤكد الحضارة الإسلامية علي تنمية ثقافة الشعور بالمسئولية، وثقافة المشاركة، وثقافة المساءلة، وثقافة الرقابة الشعبية. فالإنسان في الإسلام ليس مسئولاً عن نفسه فقط، فهو مسئول عن غيره – الأبناء والأزواج والأقارب بل وعن الفقراء، فالمسلم في ماله حق للسائل والمحروم والزكاة حق للمستحقين، واجبة علي كل من بلغ النصاب وحال عليه الحول(٣٨). وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم العديدة والصحيحة التى تدل علىذلك كثيرة ومنها (لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخية ما يحب لنفسه) ومنها (من كان عنده فضل زاد فليعد به علي من لا زاد له. ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به علي من لا ظهر له). ويقول تعالي (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)(الحجرات١٠). والمسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(آل عمران١٠٤) والمسلم مطالب بالنصح لكل الناس حكاما ومحكومين بالحكمة الموعظة الحسنة. وهذا ما سوف نزيده تفصيلا في الفصول التالية.

ثالث عشر: ترسي الحضارة الإسلامية ثقافة السلام والتعايش السلمي بين المسلمين وبين غير المسلمين الذين يعيشون داخل المجتمع المسلم، والذين في دول أخري ترتبط بدولة المسلمين بمعاهدات واتفاقات. وهذه قضية مهمة سوف نزيدها إيضاحا في فصول قادمة، لأنها هي الأساس في القانون الدولي والعلاقات الدولية.

رابع عشر: ترسي الحضارة الإسلامية من قدرات الإنسان وجهده وإرادته نحو التغير للأحسن ولعمارة الأرض وتنمية مكوناتها والاستفادة من المسخرات الكونية ، فالإسلام يؤكد علي فاعلية الجهد الإنساني للتغير وتحسين نوعية ومستوي الحياة يقول تعالي: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) (الرعد١١) ويقول تعالي (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ

---

(٣٧) راجع في هذا: محمد يوسف موسي: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه: الشركة العربية للطباعة والنشر: القاهرة ١٩٦١ ص ص٤٥ –٥٢

(٣٨) أحمد العسال،،، وفتحي عبد الكريم: النظام الاقتصادي في الإسلام – مكتبة وهبة ١٩٧٧ ص ١٠٥ وما بعدها

وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) (التوبة١٤)ويقول للمسلمين عن غزوة أحـد وما حدث فيها (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران١٦٥) والإسلام يرجع التخلف وما يصادفه الناس والمجتمعات من مصائب وأزمات في المعيشة إلى نوع الفكر والسلوك السائد، لهذا يؤكد علي أن الحل لا يكون إلا بأن يغير الناس أنماط الفكر والسلوك التي أنتجت التخلف والأزمات وهذا يعني تفعيل الطاقـات المتعددة التي خلقها الله داخل الإنسان(٣٩)

خامس عشر: تركز الحضارة الإسلامية تركيزا خاصا ونوعيا علي الأهمية المحوريـة لمؤسـة الأسرة في حياة الإنسان، فهي المؤسسة المسئولة وحدها عن إنجاب وتربية الأبناء، وعن تحقيق مطالب الإنسان وإشباع حاجاته البيولوجية والفطرية دون سواها. وهي المؤسسة التي تحقق الأمن الاجتماعي والنفسي للإنسان، فهي المؤسسة التي تحقق للإنسان السكن والمودة والرحمة. وهي المؤسسة التربوية التي تضمن تنشئة أبناء صالحين للمجتمع يتقون ربهم، ويلبون مطالبـهم الاقتـصادية والاجتماعيـة والمهنية، وهي المؤسسة التي تضمن أمن المجتمع وأمن الناس، فالمجتمعات عندما تفككـت أسـرها، وعزف الناس فيها عن الزواج، انتشرت فيها العديد من المآسي من عنف، واغتصاب، وانعدام أمن، ومخدرات، وشذوذ، وانحراف...الخ [٤٠] ومن خلال الاهتمام بمؤسسة الأسـرة أبـرزت الـشريعة الإسلامية- ومن ثم الحضارة الإسلامية- حقوق الطفل، وفي مقدمتها حقه في أبوين شرعيين، وحقـه في حسن اختيار الأم، وحسن اختيار الإسم، وحقه في النسب والرضاع والحضانة، وحقـه في بيئـة أسرية طبيعية حانية، وحقه في غرس العقيدة الصحيحة والقيم والأخلاق في نفسه من خلال القدوة الصالحة، وحقه في التعليم والرعاية الصحيحة، والاجتماعية، والخلقية.....الخ [٤١]

سادس عشر: انطلقت الحضارة الإسلامية من أن الأمـن النفـسي والاجتمـاعي، المـادي والمعنوي، الفردي والجماعي، الأمن الشامل مصدره وأساسه الإيمان، فلا أمن بلا إيمان، ولا صـحة

---

(٣٩) الملتقي الفكري للإبداع: خطاب التجديد الإسلامي: دار الفكر – كلمة الناشر ٢٠٠٤ ص ٨ وراجـع نبيل السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي: الجزء الثاني – مكتبة الشروق جده ١٩٨٣ – الفصل الثالث .

(٤٠) راجع بحث رشا الدسوقي: الأسرة المسلمة بين الاتفاقات الدولية والمقاصد العليا للشريعة المقدم في المؤتمر الدولي بشأن أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية – جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية ٧ – ٩ أكتوبر ٢٠٠٨

(٤١) هلالي عبد اللاه أحمد، وخالد القاضي: حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية والتشريعات الوطنية – مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

نفسية للإنسان وللمجتمعات بدون إيمان. (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد٢٨) وقال تعالي (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) (الأنعام ٨٢). ويمن الله علي أهل مكة أنه من يعبد رب البيت يؤمنه من الجوع والخوف (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش (٣) (٤). فتطبيق منهج الله وأحكام شرعه في كل مجالات الحياة، ذلك التطبيق النابع من الإيمان بالله وتمثل وإعمال منظومة القيم الإسلامية في العدل والشوري والتكامل؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمسك بمكارم الأخلاق.. هذا هو السبيل إلى الأمن المادي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي، وهو أيضا السبيل إلى الأمن الدولي. وهذا ما سوف نزيده وضوحا في الفصول القادمة

سابع عشر: حضارة الإسلام تملك ذاتيا آليات البقاء والاستمرار رغم تدل العصور والأزمان، ورغم ظهور مستجدات حضارية جديدة باستمرار، وهذا لأن الإسلام يمتلك إلية التجديد، وقد أرشدنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أن الله يبعث علي رأس كل مائة عام لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها.

فالإسلام يتضمن مجموعة من الثوابت الخمسة وهي العقيدة الصحيحة (عقيدة التوحيد)، والمقاصد الشرعية، والأحكام قطعية الدلالة والثبوت، والعبادات، والقيم والأخلاق. وفيما عدا هذا فهناك المتغيرات التي يجب الاجتهاد بشأنها حتي تواكب متغيرات ومستجدات كل عصر. لكن هذا الاجتهاد يجب أن ينضبط بالثوابت الخمسة المذكورة. وهناك مئات الحالات التي تفرضها المتغيرات في كل عصر [٤٢]. والقرآن الكريم يؤكد أن هذه الدعوة إلى التغيير في الفكر والسلوك والنفس وفي النظم والمؤسسات...واجبة لبقاء الدين واستمرار قوة ونهضة المجتمع المسلم. فالقرآن الكريم يربط الواقع المعاش بالفكر الذي أنتجه، ويجعل مفتاح الحل في الذات قبل الآخر (٤٣) يقول تعالي عن أحد وما حدث فيها (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران١٦٥) ويقول تعالي (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى

---

(٤٢) الملتقي الفكري للإبداع: مصدر سابق ص ص ٧-٨

(٤٣) المصدر السابق . وراجع أنور أبو طه وآخرون: خطاب التجديد الإسلامي الأزمة والأسئلة: مكتبة الأسد: دمشق ٢٠٠٤: راجع بشكل خاص الحداثة وأزمة مؤسسات التعليم ،،، وتجديد الفكر الإسلامي مدخلا للإصلاح التعليمي،،، وتجديد الفكر الإسلامي مدخلا للإصلاح التعليمي (أبو طه) وقضايا التحديد: قراءة في التحولات وأسباب التعثر لعبد الرحمن حللي

يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد١١) فالقرآن الكريم يرجع ما يعيشه الناس مـن تخلـف ومـصائب إلى حصيلة الفكر السائد. وبناء علي هذا فإن مواجهة هذا التخلف والقضاء علي المشكلات والأزمات والفساد والمصائب، إنما يكون من خلال تبني نوع جديد من الفكر والسلوك يختلف عن ذلك الذي أنتج التخلف والفساد والأزمات.

وينتقد الإسلام ظاهرة يمكن أن نسميها، ظاهرة الآبائية، وتعـني، التمسك بفكـر وسـلوك وممارسات الآباء، دون فهم وإخضاع للعقل أو للمنطق والنقد، اسـتناد إلى ثوابـت الـوحي أو الشرع. يقول تعالي في ذم تقليد الكفار (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ) (البقرة١٧٠) وجاء بعد هذه الآيـة مباشـرة تمثيل أولئك الكفار بالذي ينعق بما لا يسمع، ويصفهم بأنهم صم، وبكم، وعمي، وإنهم لا يعقلـون. قال تعالي (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ) (البقرة١٧١) وكذلك ينتقد الإسلام ظاهرة يمكن أن نطلق عليها ظاهرة (طـول الأمـد) (٤٤) وتشير هذه الظاهرة إلى الجمود والثبات والتحجر علي حال واحد مدة طويلة مـن الـزمن، دون مراجعة أو تعديل أو إعمال للفكر، أو تطوير للتوافق مع المستجدات في كل عصر. يقول تعالي (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُـوا كَالَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد ١٦)

<u>ثامن عشر:</u> هناك مجموعة أخري كثيرة من الخصائص التي تميز حـضارة الإسـلام، سـوف نكتفي هنا بذكرها تاركين التفاصيل للفصول القادمة.

١-إن حضارة الإسلام القائمة علي توجهات الكتاب والسنة هي في أساسـها وثيقـة تحريـر الإنسان وهي أول وثيقة في التاريخ تحرر الإنسان وتكرمه وتقرر حقوقه كاملة في الحياة، والأمـن، وإبداء الرأي، والاعتقاد، والتنقل، والتجمع والتعليم، والرعاية الصحية، وحقه في حياة، وحقـه في عدم الاعتداء أو الترويع، وحقه في مستوي اقتصادي يكفل له حد الكفاية وليس حد الكفـاف.... وهذا لكل من يعيش علي أرض الإسلام أو داخل الدولة الإسلامية مسلما كان أم غير مسلم(٤٥).

---

(٤٤) المصدر السابق ص ٨ . وراجع أيضا: محمد السيد الدسوقي: تجديد فهم الدين .مفهوم التجديد . مجالاته . ضوابطه . أهميته وآثاره – سلسلة فكر المواجهة – رابطة الجامعات الإسلامية – العدد ١٩ سنة ٢٠٠٧

(٤٥) راجع آراء (سجريد هونكة) وأقوالها المعروضة في العدد ١٦٧ من سلسلة قـضايا إسـلامية – المجلـس الأعلي للشئون الإسلامية ٢٠٠٨ ص ٢٧ وما بعدها

٢- حضارة تعلي من قيمة التكافل الاجتماعي، فالفقراء لهم حق ثابت ومعلوم في أموال الأغنياء، حق وليس منحة. وللفقراء حق علي الأغنياء، وعلي الدولة،وعلي ولي الأمر أن يحصلوا علي حد الكفاية وليس حد الكفاف. وهذا ما سيأتي بيانه تفصيلاً (٤٦). والقرآن والسنة تدفع المؤمنين إلى الصدقات الطوعية، ويدفع بالمؤمنين إلى وقف "أموالهم الثابتة أو المنقولة، للصرف منها علي أعمال البر والخير، مثل الوقف علي البحث العلمي وطلاب العلم والمعاهد، وعلي الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل، وعلي بناء المساجد وتحفيظ القرآن ودور العلم، وعلي غير هذا من أوجه البر. والتكافل في الإسلام يشمله الفرائض وأركان الإسلام، فهناك ركن لا يصح الإسلام بدونه وهو الزكاة. فالحضارة الإسلامية تؤكد علي المحبة والتآلف والتكافل والأمن والسلام الاجتماعي والأمن النفسي، وعلي إزالة كل أسباب الصراع والحقد الطبقي أو الاجتماعي، وكل أسباب العدوان والفتن والقلاقل علي مستوي الأسر والجماعات والمجتمعات.

٣- حضارة الإسلام التي تنطلق من الكتاب والسنة أكدت علي مفهوم التعليم المتواصل أو المستمر، أو التعليم من المهد إلى اللحد. فليس هناك سن ينتهي عنده التعليم، لأن العلم هبة من الله يحصلها الإنسان بجهده واستحقاقه. وهذا مفهوم لم تعرفه التربية المعاصرة إلا قريبا

٤- حضارة الإسلام تؤكد علي حقيقة التوافق والتناغم مع البيئة (الأرض والجبال والحيوانات والنباتات والبحار والأنهار... الخ)

فهذه مخلوقات لله، خلقها الله ومهدها وأعدها للإنسان. يقول تعالي (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة(٢٩). وقال تعالي (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك(١٥) فالله سبحانه وتعالي هو خالق الإنسان، وخالق الكون، أعده للإنسان وذلل له ومهده وطلب من الإنسان أن يعمل عقله وجهده، وأن يخطط لعمارة الأرض والاستمتاع بالطيبات، والانتفاع من المسخرات الكونية، من خلال فهم السنن الإلهية التي تحكم الكون، والإنسان، والحيوان، والنبات، وتحكم المجتمعات والتاريخ، فلابد من تفعيل جهد وتفاعل الإنسان مع البيئة التي خلقها الله للإنسان. فالعلاقة بين الإنسان والبيئة في الإسلام علاقة ودية تفاعلية، وليست علاقة صراع، كما يصورها الفكر الغربي وكما يظهر حتي في مصطلحاته مثل غزو الصحراء، وقهر

(٤٦) راجع محمد شوقي الفنجري: الإسلام والتوازن الاقتصادي – قضايا إسلامية: العدد (١٤٨) لسنة ٢٠٠٧ ص ٤٣ وما بعدها

الطبيعة، والصراع مع الطبيعة.. الخ فالنموذج الإرشادي الإسلامي **Paradigm** نموذج تـوافقي، أما النموذج الغربي فهو صراعي.

٥- الحضارة الإسلامية تعلي من قدر الإنجاز والعمل والإنتاج. فالإنسان مطالب بعمارة الأرض والتنمية الشاملة. يقول تعالي (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود٦١) فالإنسان المسلم إنسان منجز، والمجتمع المسلم هو مجتمع الإنجاز **Achievement** (٤٧). وقد كان لنا في مجتمـع المدينة خلال حياة الرسول ﷺ، ومجتمع الخلفاء الراشدين، وخلال حكـم بنـو أميـة، والعـصر العباسي... أسوة في الإنتاج والإنجاز الفكري والعلمي والمنهجي والصناعي والزراعي والتجـاري، وفي تحرير الإنسان وتكريمه كما أمر ديننا الإسلامي الحنيف... وهذا ما سوف نزيـده تفـصيلاً في الفصول القادمة.

٦- الحضارة الإسلامية تحدد مجموعة من الشروط للتمكين في الأرض، مع نيل رضـوان الله، في مقدمتها الإيمان الصحيح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق أحكام الله، وإعمـال العقـل والانطلاق في العلم وتحصيله، علي أساس أنه عبادة لله، وبناء القـوة الممكنـة في مجـالات الفكـر والاقتصاد والإنتاج والخدمات.

يقول تعالي (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَـوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحجر ٤١).

خاتمة: هذه أبرز معالم وأهداف وقيم الحضارة التي أرسي الإسلام دعائمها، والتي بدأت مـع نزول الوحي بمكة المكرمة، ثم مع إقامة أول دولة الإسلام في المدينة المنورة، والتي نمت وازدهـرت خلال الأربعة قرون الأولي للهجرة. هذه خصائص فريدة تتميز بها حضارة الإسلام، لا يشاركها فيها حضارة أخري سابقة ولا لاحقه، والسبب في تميزها النوعي أنها حضارة منطلقـة مـن وحـي الله، مسترشدة بهداية السماء، منضبطة بضوابط الشريعة. هذا خير ضامن لهـا للاسـتقامة والاسـتمرار وتحقيق أقصي درجات الخير والبركة والنهضة والتقدم للمسلمين ولغير المسلمين الـذين يعيـشون داخل المجتمع الإسلامي، وتحقيق أقصي درجات القوة في كل المجالات، مع ضبط هذه القوة بالمعيارية الإسلامية التي توجه القوة بجميع جوانبها لصالح الإنسان، مطلق إنسان، وتحميه من كـل أشـكال الدمار والفساد والانحراف وتضمن للإنسان السعادة والأمن والبركة في الدنيا والآخرة.

---

(٤٧) راجع كتاب المؤلف بعنوان: التنمية بين الاجتهادات الدينيـة والوضـعية – دار المعرفـة الجامعيـة – الإسكندرية ١٩٩٦ – الفصل السابع . وراجع صبحي الصالح: الإسلام ومستقبل الحضارة: دار الشوري: بيروت . ط (٢) . ١٩٩٠ الفصل (١٢) الحريات وطابعها الحضاري في الإسلام ص ص ١٩٧ – ٣٢١